

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١

كان الحديث جارياً عن تفاصيل غزوة بني قريظة. وقد ورد عن قتلى المسلمين أن اثنين منهم قُتلا في هذه الغزوة وهما خلّاد بن سويد والمُنذر بن محمد. أما قتلى اليهود من بني قريظة فهناك اختلاف في الروايات بهذا الشأن. أما البحث الذي أجراه مرزا بشير أحمد رحمته الله من مختلف المصادر التاريخية، فقد قال فيها إنه قُتل حوالي أربعمئة شخص في ذلك اليوم نتيجة حكم سعد بن مُعاذ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بدفن القتلى تحت إشرافه.

صرح مرزا بشير أحمد رحمته الله في رده على اعتراضات المؤرخين غير المسلمين حول عدد اليهود الذين قُتلوا في غزوة بني قريظة قائلاً: فيما يتعلق بحادثة بني قريظة، فقد هاجم بعض المؤرخين غير المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة غير لائقة للغاية، وبسبب تنفيذ عقوبة إعدام في حوالي أربعمئة يهودي، قدموه صلى الله عليه وسلم في صورة حاكم ظالم وسفك للدماء، والعياذ بالله.

وفي الرد على هذا الاعتراض، يمكن تلخيص رد حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله:

أولاً: الحكم كان حكم سعد بن معاذ وليس حكم النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: لم يكن هذا الحكم ظالماً قط في ضوء ظروفه.

ثالثاً، كان النبي صلى الله عليه وسلم ملزماً بالتعهد الذي أخذه منه سعد قبل إعلان القرار.

رابعاً: قبل المجرمون أنفسهم هذا القرار ولم يعترضوا عليه، واعتبروه قدراً إلهياً لأنفسهم.

وبعد قرار سعد، اقتصر دور النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر على تنفيذ هذا القرار بصورة أحسن وأفضل في ظل نظام حكومته، وما قُدم للنبي صلى الله عليه وسلم طلب أي واحد منهم للاسترحام إلا وتقبله صلى الله عليه وسلم على الفور، ثم لم يعف عن هؤلاء الأشخاص فحسب، بل أمر أيضاً بإعادة زوجاتهم وأطفالهم وممتلكاتهم وما إلى ذلك.

أما عن ما إذا كان في القرار أي ظلم أو انتهاك؟ فلفهمه أكثر ينبغي أن نرى أولاً ما هي جريمة بني قريظة؟ وفي أي ظروف ارتكبت تلك الجريمة؟

يخبرنا التاريخ أنه عندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، كان في ذلك الوقت ثلاث قبائل من اليهود يعيشون

بالمدينة المنورة، أي: بنو قينقاع، بنو النضير، وبنو قريظة. وكان أول عمل سياسي قام به النبي صلى الله عليه وسلم بعد

الهجرة هو أنه دعا زعماء هذه القبائل الثلاثة وعقد معهم معاهدة الأمن والسلام؛ ومن شروطها أن

المسلمين واليهود سيعيشون معاً في المدينة بالأمن والسلام، وسيحافظون على علاقات ودية مع

بعضهم البعض، ولن يقدموا أي نوع من المساعدة لأعداء بعضهم البعض، ولن يكونوا على علاقة

مع أعداء بعضهم البعض. وإذا تعرضت المدينة لأي هجوم من قبيلة أو قبائل خارجية، فسيتصدون

لها جميعاً متحدين. وإذا قام أي شخص أو أي مجموعة من أطراف الاتفاقية بخرق هذه الاتفاقية وتسبب في إثارة الفتنة والفساد، فسيكون من حق الآخرين اتخاذ إجراءات ضده. وستعرض جميع الخلافات والنزاعات أمام محمد ﷺ، وسيكون قراره ملزماً للجميع. ولكن من الضروري أن يُحكم في قضايا كل شخص أو قوم وفقاً لدينهم وشريعتهم. وهذه نقطة مهمة بأن يكون الحكم متوافقاً مع دينهم وشريعتهم.

وكيف تصرف اليهود إزاء هذا الاتفاق؟

قبيلة بني قينقاع نقضت الاتفاقية وقطعت العلاقات مع المسلمين وحاربتهم وانتهكوا حرمة النساء المسلمات، ثم تجرؤوا بأسلوب متمرّد على إنكار سيادة النبي ﷺ التي كان يتمتع بها بموجب المعاهدة بين تلك الأقسام، أي نقضوها بكل كبر وغطرسة. ولكن عندما هُزموا أمام المسلمين، عفا عنهم النبي ﷺ واقتصر على الإجراء الاحترازي بأن يغادر بنو قينقاع المدينة المنورة.

بنو النضير، نقض أحد زعمائهم كعب بن الأشرف الاتفاقية، وتآمر على المسلمين، وتكلم بالأشعار التحريضية ضد المسلمين، ثم شبب في أبياته الشعرية بالنساء المسلمات بذكر أسمائهن.

وأخيراً تآمر على قتل النبي ﷺ، وعندما لقي هذا الشخص مصيره المحتوم بأمر النبي ﷺ، قامت قبيلته بنو النضير ضد المسلمين، وخططوا جميعاً لقتل النبي ﷺ، وقرروا ألا يتركوه حياً مهما كلفهم ذلك.

حين علم النبي ﷺ بنواياهم الدموية، وقرر تحذيرهم ومعاقبتهم، استعدوا لمحاربة المسلمين بأسلوب متغطرس جداً، وساعدهم بنو قريظة في تلك الحرب، وحين هُزم بنو النضير، عفا النبي ﷺ عن بني قريظة تماماً رغم انضمامهم إلى بني النضير، وسمح لبني النضير أيضاً بمغادرة المدينة بأمان وسلام. وإنما منعهم من أخذ سلاحهم معهم.

بنو قريظة، رغم عفو النبي صلى الله عليه وسلم عنهم في مثل هذا الوضع الخطير، ورغم مساوتهم مع بني النضير حيث كانوا يعتبرون أقل في المرتبة والحقوق من قبيلة بني النضير قبل هجرة النبي ﷺ.

خانوا في وقت خطير لم يمر على المسلمين وقت أشد خطراً منه. خرج بنو قريظة من حصونهم وهاجموا نساء المسلمين وأولادهم من الخلف، وخرجوا من تحالفهم مع المسلمين وانضموا إلى الحلف الدامي الذي كانت غايته المتوخاة القضاء على الإسلام ومؤسسه ﷺ.

أن بني قريظة لم يكونوا مجرد حلفاء ومعاهدين للنبي ﷺ، بل إنهم، وفقاً لمعاهدتهم الأولية، قد اعترفوا بحكومته في المدينة، أو على الأقل قبلوا بسيادته. لذا، لم يكونوا مجرد حلفاء خونة أو كأعداء عاديين، بل كانوا بلا شك متمردين، ومتمردين من نوع خطير جداً. وليس العقاب المناسب للمتمردين، خصوصاً في أوقات الحرب، سوى القتل.

ومن الضروري تذكُّر أمر آخر، وهو أن المعاهدة التي أبرمت في البداية بين النبي ﷺ واليهود كان من شروطها أنه إذا نشأت أي قضية تتعلق باليهود فهي ستُحكم وفقاً لشريعتهم. ويتضح من التاريخ أن النبي ﷺ كان دائماً يحكم في قضايا اليهود وفقاً للشريعة الموسوية. وعندما نظر إلى التوراة، نجد أن عقوبة الجريمة التي ارتكبتها بنو قريظة هي نفس العقوبة التي حكم بها سعد بن معاذ رضي الله عنه عليهم.

فقد ورد في الكتاب المقدس هذا الأمر الإلهي في أكثر من موضع، حتى أن المسيح الناصري، الذي كان أيضاً من بني إسرائيل، كان له نفس الموقف من أعدائه حسب ما ورد في إنجيل متى (٢٣: ٣٣) ولعل هذا هو السبب في أنه عندما نال أتباع المسيح القوة في العالم، وتحت تعاليمه بأن العدو الشرير والفساد يستحق الهلاك مثل الثعابين والعقارب، لم يترددوا في إهلاك كل من اعتبروه شريكاً وفساداً ورأوا فيه تهديداً لمصالحهم. هذا ما نراه، وتاريخ الأمم المسيحية مليء بمثل هذه الأمثلة.

والخلاصة أن حكم سعد، وإن بدا قاسياً، لم يكن مخالفاً للعدل، وكان يتناسب مع طبيعة جريمة اليهود ومتطلبات حماية المسلمين. كما أنه كان متوافقاً تماماً مع الشريعة اليهودية، بل كان ضرورياً بموجب المعاهدة الأولية التي ألزمت المسلمين بالحكم على اليهود وفقاً لشريعتهم. ومع ذلك، كان هذا حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وليس حكم النبي ﷺ، وكان سعد هو المسؤول الأول والأخير عنه. أما علاقة النبي ﷺ به فكانت بصفته رئيس الدولة في تنفيذ الحكم تحت نظام حكمه، وقد نفذه ﷺ بطريقة تُعد نموذجاً يُحتذى به حتى لأكثر الحكومات تحضراً ورحمةً في العصر الحاضر.

هذا هو الرد على المعارضين اليوم الذين ينتقدون الإسلام، والذين يتأثر بهم حتى بعض شباننا، متسائلين عن سبب قتل بني قريظة. وقد أصبح البعض يبرر العمليات ضد الفلسطينيين بهذه الحادثة، مع أن الوضع هنا مختلف تماماً، ولا مقارنة بين الوضع الحالي مع ذلك، واليوم يتم الظلم ويُقتل حتى النساء والأطفال أيضاً. وفي النهاية، المسؤولية تقع على المسلمين الذين أضعوا مجد الإسلام لمصالحهم الخاصة. ندعو الله أن يهدي هؤلاء الناس إلى الصواب.
